محاضرة

مبطلات الأعمال

لفضيلة الشيخ

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشَّيخُ لم يراجع التَّفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، أحمده جلَّ في علاه، وأثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، إلـٰه الأولين والآخرين، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صفيه وخليله، وخيرته من خلقه، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه، ومن اتّبع سنته بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد؛ فيسرّني في هـٰذه الليلة أن ألتقي بإخوتي في هـٰذا الملتقىٰ -ملتقىٰ رغدان الصَّيفي- وأسأل الله -جل وعلا- أن يجزي القائمين علىٰ هـٰذا العمل المبارك خير الجزاء، فإنّ النَّبيَّ ﷺ بشّر من يسّر الهُدىٰ ودعا إليه بالأجر العظيم والثَّواب الكبير، فقد قال النبي ﷺ: «**من سنَّ في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة**»،[1] ومثل هـٰذه الملتقيات والقِيام عليها هو من العمل الصالح الذي تُرجىٰ بركته ويؤمّل خيره، فجزىٰ الله القائمين والمنظِّمين والمشاركين خير الجزاء علىٰ هـٰذه الأعمال المباركة.

كما لا يفوتني أن أشكر الإخوة الحُضور علىٰ حضورهم ومشاركتهم، فإنّ هـٰذه الأعمال إنَّما نجاحها بجهد المشاركين وحضورهم وتفاعلهم.

ولاشكَّ أن حضور مثل هـٰذه الملتقيات مما يشجِّع القائمين عليها، ويكون في ذلك مشاركةٌ لهم في الدعوة إلىٰ الخير ونشر البر والفضل بين الناس.

إخواني وأحبابي نحن في هـٰذه الدنيا استعمَلَنا الله -جل وعلا- لعبادته، فليس لنَا في هـٰذا الكون من غاية أو قصد إلا ما ذكره الله في محكم التنزيل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[الذاريات] وفي قوله: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ ﴾[الملك:٢] كلُّنا في هـٰذه الدنيا نسعىٰ إلىٰ تحقيق العبادة لله -جل وعلا- في القول والعمل، وهـٰذا هو الغرض من هـٰذه العبودية، ومن هـٰذه الدنيا، فالدنيا مزرعة الآخرة، نحن فيها في آجال معدودة مضروبة، وأنفاس معدودة، وأيام محدودة، كلُّنا نسير فيها إلىٰ غاية وهدف، وقد جعل الله تعالىٰ لكل أجلٍ كتاب، لابد أن يقف الإنسان عند ما جعل الله تعالىٰ له من حدّ، و﴿ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾[الطلاق] فنحن نسير إلىٰ هـٰذه الأقدار، ولا ندري متىٰ

---

(١) مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث علىٰ الصدقة، حديث رقم (١٠١٧).

نبلغُ الأجل، ولذلك يقول ربُّنا جل وعلا: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[لقمان:٣٤] فلا ندري ما كسبنا، ولا ندري أين يُوافينا أجلنا، وبالتالي لا ندري متىٰ انتهاء أعمارنا.

هٰذا المضمار مضمار سباق؛ يستبِقُ فيه الناس لله تعالىٰ، ولأنّ الأمر ليس بالمتيسِّر لكلِّ أحد أن ما فاته اليوم يدركه غدًا، إنما ما فاته اليوم لن يدركه غدا، ما فاتك لن يعود، كما قال بعض العلماء في توصيف الوقت: سريع التقضِّي، أبيُّ الرُّجوع، أي أنه لا يمكن أن يرجع بعد أن يمضي، الوقت هو عمري وعمرك، الوقت عدد أنفاسي وعدد أنفاسك، ولا يمكن أن يردّ نفسا مضىٰ.

ولهٰذا نحن في مضمار سباق، ليس الأمر كما يتصوّره كثير من الناس أنّ السير في هٰذه الأيام علىٰ سير أَلْهُوَيْنا؛ ما فات يُدرك وما مضىٰ يُستدرك؛ إنما ما فات مضىٰ وما ذهب لن يعود؛ ولكن المؤمل أن يصلح الإنسانُ فيما بقي.

ولهٰذا يمكن أن نعرف قيمة ما نحن فيه من وقت، والوقت هو عمُري وعمرك، وقد قال النبي ﷺ: «**لا تزولُ قدما عبد يوم القيامة حتىٰ يسأل: عن عمره فيما أبلاه، وعن شبابه فيما أمضاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه**»[1] فالسّؤال عن الوقت والزمان متكرِّر في ما جاء الخبر به عن النَّبي ﷺ.

ولهٰذا -يا إخواني- الله تعالىٰ يقول: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران:١٣٣] لم يقل: بادروا، أو اشتغلوا بالعمل، إنما قال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ والمسارعة معناه أنه هناك شيء سيفوت إذا لم تدركه، فالله تعالىٰ يقول: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[الحديد:٢١] فالله تعالىٰ يأمرنا بالمسابقة والمسارعة، وإنْ لم نستدرك ذلك بالمبادرة فإنَّه يفوت؛ ولذلك النبي ﷺ يقول: «**بادروا بالأعمال ستّا**»[2] إذن هناك أشياء محظورة ومخوفة إذا لم نبادر باغتنام الأيام واللَّيالي فإنها ستفوت.

إخواني ما فيه شك أننا نقوم ونتقرّب بأعمالٍ صالحة لله -جل وعلا-، فالغالب أنَّ المؤمنين يتقربون بألوان من القُربات: منها ما هو واجب ومنها ما هو مستحب، وليس منَّا إلا وهو داخل في قول النبي ﷺ:

---

(١) **سنن الترمذي**: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب في القيامة، حديث رقم (٢٤١٦، ٢٤١٧)، قال الألباني: صحيح.

(٢) مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية أحاديث الدجال، حديث رقم (٢٩٤٧).

«**ولا يزيد المؤمنَ عمُرُه إلا خيرا**»[١] يعني كلما طال عمر الإنسان ازداد في الخير، ولهٰذا قد يقول قائل: كيف يكون؟ كيف كلما طال عمر الإنسان زاد خيرا؟ من الناس من يعمل سيئة ويسرف علىٰ نفسه، ومنهم من يفسد في عمله؛ لكن يبقىٰ أنَّ المؤمن لا يزيده عمره إلا خيرًا، كيف هٰذا؟ قال العلماء: الإيمان بالله تعالىٰ، التوحيد الذي في قلبه، هٰذا من أعظم وأجلِّ الأعمال التي لا ينفكّ عنها مؤمن، ولهٰذا ليس في الدنيا مؤمن إلَّا وعمره لا يزيده إلا خيرا، كما قال النبي ﷺ إذن العُمُر والحياة فرصة، ينبغي لنا أن نستكثر من كل عمل صالح يقرِّبنا من الله تعالىٰ، وأن نستزيد من التقوىٰ التي أمرنا الله تعالىٰ بالاستزادة منها في قوله جل وعلا: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴾[البقرة:١٩٧] وقد قال الشاعر:

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التقىٰ ... وأبصرت يوم الحشر من قد تزوَّدا

ندمت علىٰ أن لا تكون كمثله ... وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

إذن لابد لنا من التزوّد، وهٰذه هي البضاعة التي نرحل بها، ففي «الصحيحين» من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «**يتبع الميت ثلاثة، يرجع اثنان ويبقىٰ معه واحد؛: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقىٰ عمله**»[٢] العمل قرينُك لا يفارقك في كل مراحل حياتك، تجد في الدُّنيا انشراحًا وبهجة، وتجده في القبر سرورًا إذا كان صالحًا، فالعمل كما في حديث البراء بن عازب «**يأتي في صورة حسنة إذا كان حسنا، وبصورة سيئة في القبر إن كان سيئًا**»[٣] ثم لا يفارقه حتىٰ يوم يقوم النَّاس لربِّ العالمين.

إن العمل؛ وهو عملي وعملك، صنعي وصنع يدك، قرين لنا كما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣ ﴾[الإسراء] هٰذا الطائر الذي يلزم العنق هو العمل، هٰذا العمل –يا إخواني– يوم القيامة لا يفارق الإنسان، جاء في «الصحيحين» أنَّ النبي ﷺ قال: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه**» يعني جهة اليمين «**فلا يرىٰ إلا عمله، وينظر أشأم منه**» يعني جهة الشمال «**فلا يرىٰ إلا ما قدّم، وينظر بين يديه**» ماذا يرىٰ؟ «**فلا يرىٰ إلا النار تلقاء وجهه**»،[٤] إذا كان العمل عن اليمين وعن الشمال هو في الحقيقة كالجناحين اللذين يطير

---

(١) **مسلم**: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به، حديث رقم (٢٦٨٢).

(٢) البخاري: كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، حديث رقم (٦٥١٤). مسلم: كتاب الزهد والرقائق، حديث رقم (٢٩٦٠).

(٣) أورده الألباني بتمامه في أحكام الجنائز الصفحة (١٥٦-١٥٩). وصححه.

(٤) **البخاري**: كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، حديث رقم (٧٥١٢). **مسلم**: كتاب الزكاة، باب الحث علىٰ الصدقة ... حديث رقم (١٠١٦).

بهما الطائر؛ إن أحسن العمل كانا قويين فنهضا به عن النار، ولذلك الناس يوم القيامة يعبرون جهنم – نسأل الله أن يسلمنا الله وإياكم منها–، يعبرون الجسر المضروب علىٰ جهنم، ما الذي يسير بهم علىٰ ذلك الجسر؟ الذي يسير بهم أعمالهم، ولذلك قال النبي ﷺفي بيان تفاوت أعمال الناس: «**فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح الشديدة، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من تتخطفه الكلاليب**». هـٰذا التفاوت في هـٰذا السير إنما هو لتفاوت سيرهم في الدنيا، فمن كان صالحا في عمله في هـٰذه الدنيا كان سيره علىٰ قدر عمله.

إن أعظم الخسار وأكبر البوار أن يجمع الإنسان من العمل الصالح ثم يُفنيه، ثم يُزهقه، ثم يبطله ويحبطه، هـٰذا لاشك أنَّ الغبن فيه أكبر.

وأضرب لكم مثلا: ذاك الذي يعمل في الأعمال التجارية وصنوف من الأعمال الكسبية بأنواعها وتفنُّنها في أعمال الدُّنيا، وكوّن أرصدة من المال، ثم هـٰذه الأرصدة ذهبت ومُحِقَت بصفقة، إما بأسهم، وإما بتجارة بائرة، وإما بسبب الأزمة العالمية، المهم تبدّد ذلك الرصيد العالي الكبير الذي كدّ لكسبه طوال عُمره، ألا يشعر بالغبن؟ بلىٰ يشعر بغبنٍ عظيم.

أيهما أشد يؤسًا وأشقىٰ حالًا: رجل هـٰذه حاله التي وصفناها من كدٍّ وجمع وحساب وجهد، ثم تذهب تلك الأموال. أم ذاك الذي لم يعمل شيئا ولم يكسب شيئا؟ لاشك أن الذي عمل واجتهد ثم ذهب عمله هو في الخسار أعظم من ذاك الذي لم يعمل شيئا.

ضرب الله تعالىٰ في كتابه مثلًا لهـٰذه القضية في الأعمال الصالحة، يقول الله تعالىٰ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ عنده من كلِّ ما يشتهي من الثمار، ثم ليس الأمر كذلك فقط بل: ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ يعني وضعُفت قواه وتهاوت طاقته ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ هو يعني يحمل همّ نفسه وضعفه وهمّ الذرية الضعفاء ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾[البقرة:٢٦٦]، هـٰذا المثل الذي ضربه الله تعالىٰ في كتابهجرىٰ بحث بين الصحابة في معناه، روىٰ البخاري في «صحيحه» من حديث عمر رضي الله عنه أنه سأل أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم فيما قال: من يعلَم منكم ماذا يريد الله بقوله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾، قال: فيم ترون هـٰذه الآية نزلت؟ يعني ما معناها وفيم نزلت وما المثل المضروب؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر رضي الله عنه

قال: قولوا: نعلم أو لا نعلم، يعني لا تجيبوني بهٰذا الجواب الذي تنفكُّون به، أعلم أن الله أعلم؛ لكن أريد جوابًا فصلا قولوا: نعلم أو لا نعلم، قالوا: لا نعلم. قال ابن عباس، وكان حدثًا بين أصحاب النبي ﷺ وكان يشهد مجلس عمر لفقهه ومكانته العلمية وقرابته من النبي ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين إنه وقع في نفسي من هٰذه الآية شيء، فقال: يا ابن أخي قل، ولا تحقر نفسك. يعني لا تحقر نفسك أمام هؤلاء الكبراء من أصحاب النبي ﷺ فلا تُبين عما في نفسك مما وقع من فهم معناها وإدراك المقصودِ منها، فقال ابن عباس رضي الله عنه: هٰذا مثلٌ ضربه الله تعالىٰ لرجلٍ عمل بالطَّاعات والصَّالحات، ثم بعث الله تعالىٰ له الشيطان فعمل بالمعاصي حتىٰ أغرق أعماله. (١)

هكذا قال ابن عباس في تمثيلٍ بسيط بين تجارتين، الله تعالىٰ ذكر تجارة حاضرة، رجل كد في مزرعة وعمل فيها حتىٰ أينعت وطابت ثمارها وتفننت في نتاجها، ثم أصابها إعصارٌ فاحترقت ولم يبق منها شيء، وهو كبير وله ذرِّية ضعفاء، فتكالبت عليه، لو لم يكن من الهمّ إلا أنه خسِر تلك الحديقة الغنَّاء والجنة النضرة لكان خسارًا كافيًا، فكيف إذا أضيف إلىٰ هٰذا الخسار خسارا آخر وهو ضعف حاله ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ لا يستطيعون أن يقوموا به؛ فضرب الله مثلا دنيويًا لمثلٍ أخروي فهمه ابن عباس رضي الله عنه فقال: ذاك رجلٌ منّ الله تعالىٰ عليه بالأعمال الصالحة حتىٰ إذا مضىٰ وقتٌ بعث الله له شيطانا فأغواه بالمعاصي حتىٰ أغرق أعمالَه. أي أذهبها.

لاشك إخواني أن العمل الصالح أعظمُ ثروة يقتنيها الإنسان، العمل الصَّالح هو الثروة التي ينبغي للمؤمن أن يجتهد في حفظها، ولهٰذا يقول ابن القيم: **ليس الشَّأن في العمل إنما الشأن كيف يُحفظ العمل.**

وهٰذه هي الحقيقة، ليس الهمّ أن تعمل، إنما الهمّ الذي ينبغي أن لا يغيب عن ذهنك، أنه إذا عملت عملا فاحرص علىٰ أن لا يذهب، فاحرص علىٰ أن لا يضيع، فاحرص علىٰ أن لا يحبَط.

وقد كان جؤار المؤمنين في دعائهم وسؤالهم ربَّهم -جل وعلا- أن لا يضيع أعمالهم، يقول -جل وعلا- في ذكر جملة من أدعية أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ انظر ما الذي استجاب الله به بدعاء هؤلاء ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ﴾[آل عمران:١٩٤] قال أهل التفسير: إن استجابة الله تعالىٰ لهم في عدم إضاعة

---

(١) **البخاري**: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾، حديث رقم (٤٥٣٨).

أعمالهم أي أنه يحفظها لهم، ويمنعها من الحُبوط والخسران ويثيبهم عليها، وهٰذا ما سألوه الله تعالىٰ في قولهم: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾.

أيها الإخوان؛ إنَّ السلف الصالح جمعوا بين أمرين هما مفقودان في حياة كثيرٍ من الناس:

الأمر الأول: صلاح الأعمال والاجتهاد في بذل كل ما يستطيعون في طاعة الله تعالىٰ.

الأمر الثاني: خوفهم من حبوط أعمالهم وخوفهم من أن لا يتقبل منهم.

الله -جل وعلا- يصف جماعة في كتابه -الذين آمنوا وصدقوا- فيقول جل وعلا: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾[المؤمنون] قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كما في «المسند» وغيره: يا رسول الله أهو الرجل يسرق ويزني ويخاف الله، قال: «**لا يا ابنة الصديق، إنما هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخشىٰ أن لا يُقبل منه**»،[1] لا شك أنها منزلة رفيعة تبيِّن أن القلوب عُمِرت بإجلال الله وتقديره، حتىٰ بلغ من إجلالها لله تعالىٰ أن ترىٰ أنها تقدِّم عملًا لا يكافئ ولا يبلغ حقَّ الله جل وعلا، فهي وجلة أن لا تكون قد بلغت منزلة يرضاها الله -جل وعلا- فتخشىٰ أن تُردّ عليها.

في الأخبار أن ابن عمر طرق علىٰ بابه سائل يسأله شيئا من المال، فقال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لابن له: أعطه دينارًا. فأخذ الولد دينارًا وذهب إلىٰ السَّائل وأعطاه ذلك الدِّينار، ثم رجع إلىٰ أبيه فقال: ليهنك قبولُ الله لك. فقال: يا بني والله لو علمتُ أن الله قبل منِّي سجدة أو درهما ما كان غائبٌ أحبَّ إلي من الموت. يعني يقول: لو علمت أن الله تقبل مني، ما فيه شيء غائب وهو أحب إلي أن يأتيني هٰذه اللحظة إلا الموت حتىٰ يُختم له بالقبول، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾[المائدة] فكانت الأعمال عندهم علىٰ منزلة عالية ورفيعة في نظرة مختلفة عن نظرة كثير من الناس.

الآن الواحد منا يُسرف علىٰ نفسه بألوان من المعاصي والخطايا الظاهرة والباطنة، الصَّغيرة والكبيرة، ثم مع هٰذا كلِّه يغتر بصلاحه في بعض الجوانب، يغترّ مثلا بالمحافظة علىٰ الصلاة أو بالقيام ببعض الأعمال الصالحة، علىٰ أنه إذا فُتِّش ونظر حاله في تلك الأعمال لوجد فيها من القصور والضعف ما يسأل الله تعالىٰ الستر وأن يخرج منها سالما لا له ولا عليه.

إذا كان أبو بكر وعمر وعثمان والأجلة من أصحاب النبي ﷺ تمنّوا أن يخرجوا من الدنيا كفافا لا لهم ولا عليهم، مع كونهم قال فيهم النبي ﷺ كما في «المسند» وغيره أنه قال ﷺ: «**أبو بكر في الجنة،**

---

(١) حسنه الألباني في شرح الطحاوية.

عمر في الجنة، عثمان في الجنة، علي في الجنة، سعد في الجنة، أبو سعيد في الجنة، عبد الرحمٰن بن عوف في الجنة» [(١)] مع هٰذا المنقول عن هؤلاء العشرة المبشرون بالجنة يتعجب منه الإنسان، كيف يكون هٰذا قولهم مع بشارة النبي ﷺ لهم بالجنة، مع تلك الفضيلة التي أدركوها وسبقوا بها من بعدهم حتىٰ صاروا سادات الدنيا بعد النبيين.

إن أولئك القوم عرفوا من يعاملون فأدركوا أنهم مقصرون، أما نحن فاغتررنا بأعمالنا فظننا أنها أوفت الله تعالىٰ حقه، وأننا ندلّ علىٰ الله تعالىٰ بأعمالنا، حالنا حال أولئك الذين تعقب الله تعالىٰ قولهم: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[الحجرات].

إذن -يا إخواني- لابد أن نعرف أننا بحاجة إلىٰ الأعمال الصالحة، وأنه مهما كانت هٰذه الأعمال جودة وإتقانا، فإنها إذا لم تصادف قبولا من الله -تعالىٰ- فلا نجاح ولا فلاح، ولا فوز ولا سبق ولا نجاة من مخاوف في دنيا وفي الآخرة، الشأن كل الشأن في القبول لهٰذه الأعمال، وقبول هٰذه الأعمال هو سلامتها من الآفات المهلكة والأضرار التي تدبّ إليها فتفسدها.

إن العمل يُتقبل برحمة الله لا بجهد الإنسان، فالإنسان يقدِّم العمل الصالح ويرجو من الله القبول؛ ولكن هٰذا العمل لو استقل عن رحمة الله لما كان مقبولاً.

أذكر لكم حديثا رواه البخاري وكذلك مسلم من حديث عائشة وحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «**واعلموا أن أحدا منكم لن يدخل الجنة بعمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا**»[(٢)] يعني عمل النبي ﷺ، من أتقىٰ الناس؟ محمد ﷺ من أعبدهم ؟ رسول الله محمد، من أعلمهم بالله ؟ رسول الله محمد ﷺ، ومع هٰذا عمله لا يكفي ولا يستقل بإدخاله الجنة.

ولذلك ينبغي أن ينظر كل واحد منا إلىٰ رحمة الله أعظم من أن ينظر إلىٰ عمله، فالعمل إنما هو وسيلة وسبب وعربون يتقدم به بين يدي رب العالمين الرحمٰن الرحيم لأجل أن يتقبله وأن يرحمه وأن

---

(١) **سنن أبي داود**: كتاب السنة، باب في الخلفاء، حديث رقم (٤٦٤٩، ٤٦٥٠). **جامع الترمذي**: كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمٰن بن عوف الزهري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم (٣٧٤٧، ٣٧٤٨). **سنن ابن ماجه**: باب في فضائل أصحاب رسول الله، فضل العشرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، حديث رقم (١٣٣). قال الألباني: صحيح.

(٢) البخاري: كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة علىٰ العمل، حديث رقم (٦٤٦٤)، مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تَعَالىٰ، حديث رقم (٤٨١٦، ٤٨١٧، ٤٨١٨).

يجعله من أهل الجنة، وإلا فالأعمال مهما كانت ليست سببًا لاستحقاق ذلك الفضل، ولا سببا لتبوُّء تلك المنازل، إنما هو فضل الله تعالىٰ، يقول ابن القيم في استشهاده لهـٰذا المعنىٰ فيما نقله:

وتلـك مواهـب الرحمـٰن ليسـت تحصّـل باجتهـاد أو بكسـب

ولكـن لا غنـىٰ ببـذل جهـد بـإخلاص وجـد لا بلعـب

إذن لا بد من بذل وإخلاص؛ لكن مع هـٰذا البذل والإخلاص يجب أن نعلم أنَّ الرحمة هي فضل الله الذي يسوقه لنا وهو عطاؤه الذي يمنّ به علينا.

إخواني وأحبابي السّلف كانوا يخشون علىٰ أعمالهم، فإذا عمِلُوا عملا اجتهدوا في حفظه من الفساد، اجتهدوا في حفظه من الإبطال، هل هناك ما يُبطل العمل؟ نعم هناك أشياء كثيرة، يقول ابن القيم رحمه الله: **ومحبطات الأعمال أكثر من أن تحصىٰ**؛ لأنها كثيرة يتعب الإنسان في إحصائها وحصرها، ولهـٰذا لابد من إدراك المعاني الرئيسة التي يحبط بها العمل، حتىٰ يتوقاها الإنسان.

أعظم ما يحبط العمل الشِّرك، والشرك كلمة تطرق أسماعنا وكأنها شيء ما لنا دخل فيه! الشرك ما لنا فيه دخل! والله سلّمنا منه! ونحن والحمد لله نحن علىٰ توحيد! وقد أمنّا من الشِّرك! نقول: هنا موضع الإشكال، تعرفون -يا إخواني- أن أفضل الخلق يخاطب سادات الدنيا بعد الأنبياء -يخاطب صحابته كما في «المسند» من حديث محمود بن لبيد- يقول لهم: «**أخوف ما أخاف عليكم الشِّرك الأصغر**»(١) يتصور هذا؟! قوم قاتلوا الكفار وبذلوا كل ما يستطيعون في نصرة الرسول ﷺ، وفي بيان هـٰذه الدعوة والذبِّ عن الإسلام وأهله، يقول لهم النبي ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، هـٰذا بيان أن الشرك أمر ليس مأمونًا علىٰ القلوب؛ بل القلوب يُخشىٰ أن يدِبَّ إليها من الشرك ما يُفسد أعمالها، وما يحبط هـٰذا السّعي وهـٰذا الكدّ وهـٰذا العمل وهـٰذا الجُهد وتلك الصلاة وتلك الزّكاة وذلك العمل الصالح، الله يقول لرسوله: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾[الزمر:٦٥] وهـٰذا يبيِّن لنا أن الشرك يحبط حتىٰ أعمال الأنبياء لو وقع منهم، وهـٰذا ليس معناه أنه سيقع من الأنبياء شرك، فالله عاصمهم من أن يقع منهم شرك كما قال جل وعلا: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[المائدة:٦٧]، لكن النبي ﷺ ذكر الله تعالىٰ له هـٰذا وبيّن له عاقبته حتىٰ يعرف مرتبة الشرك. إيش خطورة الشرك؟ أنه لو وقع الشرك من الأنبياء لكان سببا لاحباط عملهم، مع كون عملهم من أعظم الأعمال وأجلِّها.

---

(١) مسند أحمد، حديث رقم (٢٣٥٢١)، (٥/ ٤٢٨).

إذن لابد للمؤمن أن يعرف أن الشرك من أعظم الأخطار التي تهدد القلوب، والشرك ليس لغزًا، الشرك هو ضد التوحيد، ضد هٰذه الكلمة التي ينطق بها المسلمون (لا إلٰه إلا الله) هٰذه الكلمة -كلمة التقوىٰ- التي أوصىٰ الله تعالىٰ بها الأولين والآخرين ضدها هو الشرك، ما معنىٰ هٰذه الكلمة؟ لا معبود حق إلا الله، هٰذا معنىٰ (لا إلٰه إلا الله) أي أنه ليس هناك من يستحق العبادة إلا الله جل وعلا، فكل نوع من التعبد يصرف لغير الله فهو شرك.

ومن هنا ينبغي أن يُعرف أن الشرك مراتب، فمثلا الذَّبح لغير الله شرك، النذر لغير الله شرك.

قد يقول قائل: هٰذا غير موجود.

يا إخواني إذا كنا لا نراه، وسلّم الله تعالىٰ أعيننا من أن نشاهده في مجتمعنا أو في بلادنا أو في محيطنا لا يعني أن هٰذا غير موجود، أخرجوا.. مدوا أبصاركم إلىٰ أولئك الذين يقولون في دعائهم: يا علي، يا حسين، يا بدوي، يا كذا من المخلوقين، يستغيثون بهم ويدعونهم من دون الله. أليس هٰذا مخالفا لقول الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[الجن]، ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾[المؤمنون] أليس هٰذا مخالف لهٰذه الآيات؟ بلىٰ، وكثير من الذين يقولون هٰذا القول يعرفون هٰذه الآيات ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[الحج:٤٦].

إذن ينبغي للمؤمن أن يحذر من هٰذا الشرك دقيقه وجليله، صغيره وكبيره، وقد حذّر منه النبي ﷺ تحذيرا كبيرا؛ حتىٰ إنه في بعض الأحاديث قال: «**الشرك في أمتي أخفىٰ من دبيب النمل علىٰ الصفاة السّوداء في الليلة الظلماء**» فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما النجاة منه يا رسول الله؟ كيف ننجو منه إذا كان بهٰذا الخفاء والتسرّب إلىٰ القلوب، والقلب لا يشعر، قال: «**أن تقول: اللّٰهُمَّ إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم**»،[1] ولهٰذا ينبغي للمؤمن أن يخافه.

من أعظم الناس تحقيقا للتوحيد ممن ذكرهم الله في كتابه؟ إنه خليل الرحمٰن إنه إبراهيم عليه السلام، ماذا كان يقول في دعائه؟ ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾[إبراهيم] تصوروا أن إبراهيم عليه السلام الذي أُلقي في النار بسبب منابذته للأصنام أن يرجع ويعبد الأصنام؟ هٰذا من أبعد ما يكون، ومع هٰذا ما أمن علىٰ نفسه، إنما قال في دعاء صريح وواضح ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ وهي

---

(١) صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٥٥١)، و«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦).

الصورة الفاضحة للشرك، فما بالكم بما هو أدنىٰ من ذلك، إذا كان يخشىٰ الصورة الواضحة؛ صنم يسجد له أو يطاف به أو يقدس ويعبد، كان يخشىٰ هـٰذا؛ أليس حريًّا بالمؤمنين أن يخافوا ما هو أخفىٰ من ذلك من الشرك كالرِّياء والتوكُّل علىٰ غير الله وكمحبة غير الله وتعظيم غير الله والأشياء الكثيرة التي تدبُّ؟ بلىٰ والله.

ولذلك ينبغي الحذر من هـٰذا غاية الحذر، ولا تستهينوا أمرَ الشرك والتوحيد، ولا يظن الظان أنه: والله الحمد لله ما عندنا شيء من هـٰذا!

قلت لكم: إنَّ النبي ﷺ في أصفىٰ وأطهر مجتمع يخاف الشرك علىٰ الناس، ويقول: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**».

المحبط الثاني وهو من المحبطات الكبرىٰ للعمل الردّة، والردّة هي الرجوع عن الإسلام، والرجوع عن الإسلام:

يكون بالأقوال كسبّ الله وسبّ النبي ﷺ وتكذيب القرآن والاستهزاء به.

ويكون بالاعتقاد كاعتقاد شيء ينافي الإسلام، ويعارض أصول الإيمان.

وكذلك يكون بالأعمال كأن يسجد لغير الله تعبّدا أو ما أشبه ذلك من الأعمال الشركية والكفرية.

فالردّة تكون بالقول وتكون بالعمل وتكون بالقلب.

ولابد للمؤمن أن يعرف أن الردة من أعظم ما يحبط العمل، قال الله جل وعلا: ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[المائدة:٥٤]، **هـٰذا في بيان أن الله غني عنا وعن عباداتنا، ويقول في عقوبة المرتد**: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾[البقرة]، **وقد قال -جل وعلا- في أعمال المشركين**: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[الفرقان].

عائشة رضي الله عنها سألت النبي ﷺ قالت: يا رسول الله أرأيت عبد الله بن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه؟ قال: «**لا ينفعه، إنه لم يقل يوما من الدهر: ربِّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»(١) لأنه لم يكن عنده إيمان، فكان هـٰذا من أسباب حبوط الأعمال قال الله تعالىٰ: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾.

---

(١) مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ الكفر لا ينفعه عمل، حديث رقم (٢١٤).

إنَّ من الأمور التي يحبط بها العمل وهو حبوطٌ كلِّي للأعمال مشاقة الرسول ﷺ ومباينة هديه ومنابذة ما جاء به، لذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٩﴾[محمد] وكل من اختطَّ طريقًا غير طريق النبي ﷺ أو ذمَّ ما كان عليه النبي ﷺ، أو كره شيئا من التشريع الإسلامي الثَّابت الذي دلت عليه الأدلة وتواطأت عليه كلمات الأئمة، فإنَّه علىٰ خطر وهو مهدَّد بهٰذه الآية التي قال الله فيها: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٩﴾.

إنَّ ممَّا يحبط العمل يا إخواني، وهو من الإحباط الكلي التَّصديق بأنَّ غير الله تعالىٰ يعلم الغيْب، ونحن نذكر هٰذا لأن هٰذا جاءت به نصوص وإلا فهو يندرج تحت ما يتَّصل بصور الردة، النبي ﷺ يقول: «**من أتىٰ عرَّافًا وسأله عن شيء فصدقه فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمد**» [١] وهٰذا دليل علىٰ الإحباط الكلي هٰذا إذا صدّقه.

أما إذا جاء وسأله ولم يصدقه، كما هو الحال من الذين يتصلون علىٰ القنوات السّحرية، أو علىٰ المشعوذين في بلدانهم، فالإتيان لا يلزم الإتيان بالقدمين؛ بل يشمل كل إتيان؛ لو تكتب له رسالة وتقول له: لو سمحت أنا عندي كذا وكذا إيش رأيك؟ ما حل هٰذه المشكلة؟ ما الذي فيّ؟ وبماذا تنصحُني؟ وهو ساحر أو كاهن أو عرّاف فقد أتيته، فلا يلزم الإتيان الإتيان بالأقدام؛ بل كل صورة يأتي بها الإنسان إلىٰ هؤلاء السحرة والدَّجّالين فإنه داخل في هٰذا الحديث، وقد قال النبي ﷺ: «**من أتىٰ كاهنا أو عرافا فسأله لم تقبل له صلاةٌ أربعين يوما**». [٢]

ومثله ورد في شرب الخمر أن «**من شرب الخمر لم تقبل له صلاةٌ أربعين صباحا**»[٣] هٰذان نموذجان من الإحباط الجزئي من الأعمال.

فالنبي ﷺ ذكر هنا سيئتين:

الإتيان للكهان ولم يصدِّقهم.

---

(١) **مسند أحمد**، عن أبي هريرة حديث رقم (٩٥٣٦)، وقال الألباني في الإرواء (٧/ ٦٩): رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده ورواه أبو بكر بن خلاد في الفوائد والحاكم وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٢) **مسلم**: كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، حديث رقم (٢٢٣٠)، وليس فيه (كاهنا).

(٣) **سنن الترمذي**: كتاب الأشربة، باب ما جاء في شارب الخمر، حديث رقم (١٨٦٢). **سنن ابن ماجه**: كتاب الأشربة، باب من شرب الخمر لم تقبل له صلاة، حديث رقم (٣٣٧٧). قال الألباني: صحيح

وشرب الخمر.

وجعل من عقوبة هـٰذا المجيء وهـٰذا العمل حبـوط صـلاة أربعـين يومـا، هـل معنـىٰ هــٰذا أنـه لا يصلي؟ بعض الناس يقول: ما عليه صلاة أربعين يوما. هـٰذا فهم غلط، هو مطالب بالصلاة، الله ما أسقط الصلاة عن مؤمن، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾[البينة]، فلابد من إقامة الصلاة؛ لكن المعنىٰ أنه «لم تقبل له صلاة أربعين يومًا» يعني أن سيئة هـٰذا العمل كبيرة إلىٰ درجة لو وضع عملُ المعصية في كفَّة ووضع أجر وثواب صلاة أربعـين يومًـا كـان الوزر مذهبًا لأجر وثواب الأربعين يومًا.

مثال: لو يكون عندك مالٌ ثم تستدين وتقترض، الدَّين الذي اقترضته واستدنته إما أن يكون بأقل ممـا عندك، إما أن يكون بقدر ما معك أو أقل أو يكون بأكثر مما معك، فهــٰذا الـدِّين سـيذهب مـا معـك مـن أرصدة، ما معك مما جمعته واكتسبته في هـٰذه الفترة.

فكذلك هـٰذا الإحباط في هـٰذه الأحاديث إنما هو بهـٰذه الصورة؛ بمعنىٰ إنه إذا كان أنا عنـدي صـلاة أربعين يوما، وحصل هـٰذا الذي ذكر النبي ﷺ من إتيان كاهن وسؤاله أو شرب الخمر فإنه سيذهب أجـر تلك الأعمال الصالحة، وهـٰذا نوع من الإحباط وهو إحباطٌ جزئي للعمل.

من الأسباب التي تحبط بها الأعمال ضعف تعظيم الله تعـالىٰ في القلـوب، واسـتمع لهــٰذا الحـديث حديث ثوبان رضي الله عنه في المسند وغيره أنّ النبي ﷺ قال لأصحابه: «**لأعلمن أقوامًـا مـن أمتـي يـأتون يـوم القيامة بأمثال جبال تِهامة بيضًا**» جبال تهامة هي التي نحن عليها، وأنت لتعرفَ عِظَم هــٰذه الجبـال انظـر وأنت في الطائرة ما علوها، أو اذهب إلىٰ الشاطئ وانظر إلىٰ ارتفاعها وكيف هي عظيمة مرتفعـة شـاهقة، هـٰذه الجبال يأتي بعض الناس يوم القيامة بأمثالها حسناتٍ «**ثم يجعلها الله هباء منثـورا**»، الله أكـبر، تتبـدد وتتلاشىٰ ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ۝٢٣﴾[الفرقان] ما السـبب؟ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٤٤﴾[يونس]، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝٤٦﴾[فصلت].

إذن هناك سبب، ما هو السر؟ السر ما ذكره الرسول ﷺ في هـٰذا الحديث، قالوا: يا رسول الله؛ بيِّـنهم لنا عسىٰ أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: «**إنَّهم منكم يصلون كما تصلون ويأخذون من الليل كمـا تأخذون**» يعني لهم نصيب من صـلاة الليـل «**لكـنهم قـوم إذا خلُّـوا بمحـارم الله انتهكوهـا**»[1] إذا خلـوا

(١) سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، حديث رقم (٤٢٤٥)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (٥٠٥).

بمحارم الله انتهكوها، إذا خلا لهم الجو ولم تكن عليهم عينٌ مراقبة ولا أذن سامعة ولا بصر يرىٰ.. عند ذلك انتهكوها ووقعوا في ألوان من المعاصي.

هل معنىٰ هـٰذا أنه إذا أراد الإنسان أن يعصي يأتي إلىٰ الملأ ويقع في المعصية؟ النبي ﷺ يقول كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة: «**كل أمتي معافىٰ إلا المجاهرين**»، [1] إذن ليس الأمر دعوىٰ إلىٰ المجاهرة، وليس الأمر أن هـٰذا وقع في خطيئة، ما فيه إنسان ما يخطئ النبي ﷺ يقول: «**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»[2] إذن ما السبب وما السر الذي جعل هـٰذا سببا لإحباط تلك الحسنات العظيمة؟ السبب والسر هو ضعف تعظيم الله –جل وعلا– في القلوب، هؤلاء قوم خلت قلوبهم وفرغت من تعظيم الله تعالىٰ، ليس فيها تعظيم لله جل وعلا، وكان هـٰذا من أسباب هـٰذا الإحباط الذي ذكره النبي ﷺ، وكان الإمام أحمد –رحمه الله– كثيرا ما يكرّر تلك الأبيات الجميلة:

إذا ما خلوْتَ الدّهرَ يوْمًا فلا تَقُلْ   خَلَوْتُ ولكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ
ولاَ تحْسَبَنَّ اللهَ يغفِلُ مَا مضَىٰ   وَلا أنَّ مَا يخفَىٰ عَلَيْهِ يغيبُ

بل الله تعالىٰ بصير خبير يدرك الدقيق والجليل، فنسأل الله أن يعاملنا بعفوه.

من أسباب إحباط العمل وهو قد يكون إحباطا كليا أو جزئيا بحسب العمل الذي وقع فيه، المحظور هو المنّ والإعجاب، الله تعالىٰ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ [البقرة:٢٦٤]، وهـٰذا يبين أن المنّ من أسباب الإحباط، المنّ أن تقول: أنا أعطيت وأنا فعلت، فالمن علىٰ الله من أسباب الإحباط، فأنت تقول: أنا أصلي وأصوم وأزكي وأحج والله يسوي بي كذا، بعض الناس يقوله، وإن لم يقولوه بألسنتهم تقوله قلوبهم وتشهد به أفعالهم، يمنّون علىٰ الله تعالىٰ ما يكون من العمل الصالح، مع أن العمل الصالح هو منة من الله علىٰ العبد ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ ﴾[النساء:٩٤].

والله لولا الله ما اهتدينا   ولا تصدقنا ولا صلينا

فكل عمل صالح هو من توفيق الله تعالىٰ لنا.

---

(١) **البخاري**: كتاب الأدب، باب ستر المؤمن علىٰ نفسه، حديث رقم (٦٠٦٩). **مسلم**: كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، حديث رقم (٢٩٩٠).

(٢) **سنن الترمذي**: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٤٩)، حديث رقم (٢٤٩٩). **سنن ابن ماجه**: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث رقم (٤٢٥١). قال الألباني: **حسن**.

إذن -يا إخواني- ليس الشأن أن تكون علىٰ عمل صالح، إنما الشأن في أن تشهد منة الله تعالىٰ عليك بهـٰذا العمل الصالح، وتسأله -جل وعلا- أن يتمم عليك ذلك بالقبول.

إذن المنّ بالأعمال هو من أعظم أسباب فساد العمل، فإذا منّ الإنسان بدينه وإسلامه كان هـٰذا من أسباب إحباطه بصلاةٍ أو بصدقةٍ أو بنوع من الأعمال وفردٍ منها، فإن هذا مما يحبط عمله، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ وفي الصحيح من حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: المسبل إزاره، والمنان، والمنفّق سلعته بالحلف الكاذب**»(١) والشاهد قوله ﷺ: «**المنان**» أي الذي يمنّ علىٰ العباد بالإحسان، ويمنّ علىٰ الله تعالىٰ بالطاعة والقيام بالأعمال،

أفسدت بالمنّ ما أسديت من حسن ليس الكريم إذا أسدىٰ بمنّان

إن من أسباب حبوط العمل، وهـٰذا إحباط جزئي ترك الصلاة، يقول الله جل وعلا: ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾[البقرة] الصلاة الوسطىٰ هي صلاة العصر كما جاء بيانها في قول النبي ﷺ، أمر بالمحافظة علىٰ الصلاة والصلاة الوسطىٰ بالخصوص، ولعظم هـٰذه الصلاة ورفيع منزلتها قال فيها النبي ﷺ كما في الصحيح من حديث بريدة رضي الله عنه: «**من فاتته صلاة العصر فقد حبط عمله**»،(٢) وفي حديث ابن عمر «**من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله**»(٣) وهـٰذا يبين أن ترك الصلوات من أسباب حبوط الأعمال يقول ابن القيم: وليس هـٰذا خاصا بصلاة العصر إنما ذُكرت العصر لأنها أشرف الصلوات، وكل صلاة يتركها الإنسان هي سببا لحبوط العمل.

هل معنىٰ هـٰذا أن ترْك صلاة العصر يحبط عمل كل هـٰذه السنوات التي مضت، ترك صلاة العصر ليوم واحد؟!!

يقول بعض العلماء: نعم، وهـٰذا المروي عن إسحاق بن رَاهُويَه وجماعة من أهل العلم، قالوا: من ترك صلاة واحدة من غير عذر حتىٰ خرج وقتها فقد كفر، وإذا كفر فقد حبط عمله.

---

(١) مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، حديث رقم (١٠٦).

(٢) **البخاري**: كتاب مواقيت الصلاة، باب من ترك العصر، حديث رقم (٥٥٣).

(٣) **البخاري**: كتاب مواقيت الصلاة، باب إثم من فاتته العصر، حديث رقم (٥٥٢). **مسلم**: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب إثم من فاتته العصر، حديث رقم (٦٢٦).

ومن أهل العلم من يقول: إن المقصود بالحبوط هنا حبوط عمل ذلك اليوم، بمعنىٰ أنه لما يترك صلاة في يوم فمهما عمل من الأعمال الصالحة فإن وزر وإثم تركه لهٰذه الفريضة يحيط بكل ما يعمله من الصالحات، يعني تتبدّد هٰذه الصالحات مقابل الإساءة.

لكن اعلموا -يا إخواني- ليس هناك أفضل من الله تعالىٰ ولا أجود منه -جل في علاه-، وهو الذي يحب التوابين، فإذا تاب العبد وأناب ردّ الله له ما كان من عمل قد حبط، ولهٰذا إذا حصل هٰذا الإحباط ما يصاب الإنسان بنوع من اليأس ويقول: انتهىٰ الأمر! حبط عملي ولا سبيل إلىٰ التوبة والأوبة والرجوع والاستدراك؟ لا، نقول: إذا صدقت التوبة والرجوع إلىٰ الله تعالىٰ فإن الله سيعيد له ما كان من عمل صالح، وذلك كما في حديث حكيم بن حزام سأل النبي ﷺ قال: يا رسول الله أنا كان لي في الجاهلية صدقات وإحسان وصلة هل لي من ذلك شيء؟ هل ينفعني من ذلك شيء؟ قال النبي ﷺ: «**أسلمت علىٰ ما أسلفت من خير**»،[1] ما مضىٰ من خير هو محفوظ لك بعد إسلامك، كذلك بعد توبة الإنسان ما كان من الصالحات يرده الله -تعالىٰ- إلىٰ العبد بمنه وكرمه وعظيم إحسانه جل في علاه.

هٰذه جملة من الأسباب التي تحبط بها الأعمال، وفي الجملة محبطات العمل نوعان:

ما يحبط العمل بالكلية ويذهب كل ما قدّمه الإنسان وهٰذا أبرزه الشرك والردة.

ومنه ما يحبط العمل إحباطا جزئيا كالمن والرياء في بعض العمل وأيضا ما ذكرنا من ترك الصلاة، وشرب الخمر وإتيان الكهان بسؤالهم وما أشبه ذلك من الأعمال.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يعيننا وإياكم علىٰ الصالح من الأعمال، وأن يستعملنا وإياكم فيما يحب ويرضىٰ، وأن يحفظ علينا أعمالنا وأن يتقبلها منا إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

[الأسئلة]

سؤال (١): هل المناذير من الشرك؛ وهي دعاء الجن مثل: خذوه، وهل هي تبطل العمل الصالح؟

الجواب: إذا كان يدعو الجن ويسألهم قضاء الحوائج بأن يدفعوا عنه الكربات وأن يحفظه من الشرور والسيئات، لاشك أن هٰذا من الشرك، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ

---

(١) **البخاري**: كتاب الأدب، باب من وصل رحمه في الشرك ثم أسلم، حديث رقم (٥٩٩٢). **مسلم**: كتاب الإيمان، باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده. حديث رقم (١٢٣).

مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾[الجن] قال المفسرون، ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ أي زادوهم وهَنًا في إيمانهم، وقال جماعة من أهل التفسير: أي تسلطوا عليهم، فلم يدركوا من هٰذه الاستغاثة نتيجة إيجابية؛ بل أدركوا عكس ما قصدوا، حيث إنّهم ﴿زَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي خوفا وتعبا وعنتا، هٰذا لاشك من الشِّرك.

أما إذا كان يخاطب به جنّا يخدمونه وليس فيه استغاثة، فهٰذه مسألة ترجع إلىٰ خلاف العلماء في الاستعانة بالجن، والعلماء لهم في هٰذا قولان.

أما أن يدعو، هكذا، خذوه، افعلوا به، أنقذوني فهٰذا لاشك أنه دعاء لا يجوز، وهو من الشرك الذي يجب علىٰ المؤمن أن يتخلّىٰ عنه.

سؤال (٢): نجد ضعفًا في الطاعة وقد لا نجد حلاوة العبادة التي نسمع عنها كثيرا في المحاضرات، وكذلك التلذذ بحلاوة الطاعة، فما ترىٰ في ذلك وكيف العمل لذلك السبيل؟

الجواب: هٰذا سؤال مهم في الحقيقة يا إخواني، كثيرا من الناس يشكو أنه يعمل الطاعة ولا يجد لها أثرا.

الإشكالية ليست في العمل، الإشكالية في صفته، كلنا نعلم أن القرآن شفاء للصُّدور الله تعالىٰ يقول: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[النحل:١٠٢] ويقول جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾[يونس]، فالقرآن شفاء؛ لكن من الناس من يقول: قرأت ولم أجد، الإشكالية ليست في القراءة ذاتها، الله لا يخلف الميعاد، إنما الإشكالية في أن الذين يقرؤون لا تحضر قلوبهم عند القراءة، لا يتدبرون في ذلك، يشتغلون بصورة العمل عن حقيقته وسرِّه، الصلاة سكينة، النبي ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلىٰ الصلاة ووجد راحته في الصلاة وكان يقول: «**أرحنا بها يا بلال**»[(١)]، وفي السنن قال: «**وجُعلت قرة عيني في الصلاة**»،[(٢)] «**قرة عيني**» أي سكونها وطمأنينتها، وفي حين كثير من الناس لا يجدون هٰذا، السبب أننا نصلي صلاة فارغة من الخشوع، خالية من التّعظيم، خالية من التدبُّر لله تعالىٰ في حركاتها وسكناتها وقراءتها، النبي ﷺ كما في الصحيح من حديث علي كنا نقول: «**اللّٰهُمَّ لك ركعت وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي**

---

(١) **سنن أبي داود**: كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، حديث رقم (٤٩٨٥، ٤٩٨٦). قال الألباني: صحيح.

(٢) **مسند أحمد**: عن أنس بن مالك (ج١٠/ ص٤١٢)، رقم (١٢٢٣٤،١٢٢٣٣). **سنن النسائي**: كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، حديث رقم (٣٩٣٩). قال الألباني: حسن صحيح.

وبصري ومخي وعظمي وعصبي» [١] هـٰذا الخشوع هو الذي يثمر هـٰذه الراحة، فلما تركع ركوعا وتقوم قياما وتقعد قعودا بدون حضور قلب تلك الصلاة التي قال فيها النبي ﷺ: «**تلك صلاة المنافق يرقب الشمس حتىٰ إذا كانت بين قرني شيطان**» يعني قاربت الغروب، «**قام فنقرها أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا**»، [٢] وهـٰذه الصلاة لا تثمر نتيجة وقد ذمها النبي ﷺ ووصف أصحابها بالنفاق، فإذا تخلفت هـٰذه اللذات فالسبب ليس في العبادات، والله لا يخلف الميعاد، والنبي ﷺ لا ينطق عن الهوىٰ، إنما هو في أننا نؤدي هـٰذه العبادات فارغة من معناها، خالية من مقتضاها ليس فيها خضوع قلب وخشوع ما ذكره الأئمة وما حفظ في كتب السير من عمل الصحابة.

أتدرون يا إخواني أن النبي ﷺ قام ليلة كاملة بآية من الكتاب يقرأ ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[المائدة] حتىٰ أسفر الصبح، أتدرون أن خادما لأسماء شهدها تقرأ قول الله تعالىٰ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾[الطور] يقول: فوقفت، فجلستْ تكررها وتبكي ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ تكرّرها وتبكي حتىٰ طال بي، فذهبت إلىٰ السوق وقضيتُ حاجتي ورجعت فإذا هي تقرأ الآية وتكررها وتبكي.

وقال رجل في سيرة عمر بن عبد العزيز، دخل رجل المسجد بعد صلاة العشاء فاستقبل القبلة وكبّر وافتتح بالفاتحة فقرأها ثم افتتح بسورة الواقعة قرأ قول الله تعالىٰ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ يقول: فوقف عند ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ يكررها ويبكي حتىٰ كاد الفجر أن يطلع، فركع وسجد وخرج من المسجد؛ يعني ما صلىٰ إلا ركعة واحدة، ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ يكررها فتبعته فإذا هو يدخل دار الخلافة فتأمَّلت، فإذا هو عمر بن عبد العزيز.

هـٰذه أخبار تظنونه يعبث! يقف بس يقول: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾، ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾، ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾، لا، أكيد أنه استحضار معاني وتدبر وحضور قلب يذكر به أشياء كثيرة من الخفض والرفع الذي يكون في ذلك اليوم، ويؤمل أن يسلم من الخفض ويفوز بالرفع، وعند ذلك يتحرك القلب، ولهـٰذا ابن مسعود رضي الله عنه كما في الصحيح جاءه رجل فقال له: يا أبا عبد الرحمـٰن قرأتُ المفصل في ركعة؛ يعني من (ق) إلىٰ الناس. قال: هـٰذًّا كهذِّ الشعر ونثرا كنثر الدقل. كما في «مسند أحمد»: **لا تهذّه هذّ الشعر ولا**

---

(١) **مسلم**: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة النبي ودعائه بالليل، حديث رقم (٧٧١).

(٢) **مسلم**: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التبكير بالعصر، حديث رقم (٦٢٢).

تنثره نثر الدقل؛ أي التمر الرديء، **قفوا عند عجائبه وحركو له القلوب**، هكذا كان أولئك يفوزون بحلاوة الإيمان وحلاوة العبادة، العبادة لها طعم، ولهٰذا يقول الحسن البصري في: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾[آل عمران:١٩١]، ﴿ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الذاريات]، و﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [السجدة:١٦] ، يقول: لأمر ما القوم ساهرون. **هناك شيء جعلهم يسهرون.**

وأنت انظر للآية ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ يعني جنوبهم هي التي تبعد، التجافي هو البعد، هٰذا البعد والتجافي لم يأت فقط للأجر الأخروي، أبدًا، لاشك أن الأجر الأخروي هو المطلوب المرغُوب؛ لكن هناك بشرىٰ عاجلة ولذة حاضرة أدركها أولئك هي التي نشَّطتهم علىٰ العبادة، ونحن فقدناها فكسِلْنا عن العبادة.

ولهٰذا يقول ابن تيمية رحمه الله: في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، هٰذه الجنة هي ما يجده الإنسان من طعم الإيمان ولذته وسرور القلب وابتهاجه.

وللأسف نحن لا نملك إلا وصفه، وأما طعمه وحقيقته فنسأل الله أن يمن علينا بها وأن يجعلنا من أهلها.

سؤال (٣): يستعمل بعض الرياضيين الدنبوس في اللقاءات الرياضية، فما حكم ذلك؟

الشيخ: ماذا يعني الدنبوس؟

السائل: أعتقد في الأعمال الرياضية يوقدون نارا فيقفزون عليها، أو يذبحون بقرة أو كذا..حتىٰ يفوز الفريق هٰذا عن الثاني..

الجواب: هٰذا كله من عمل الشيطان، فلا يجوز ومن فعله فقد وقع في خطر عظيم وشر كبير، فإن أفسد الفساد السِّحر، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾[طه]، نسأل الله السلامة.

سؤال (٤): هل من كلمة قوية لمن يخلو بمحارم الله، مثل الخلوة بالنت والصور الفاضحة والمقاطع السيئة، فقد عمَّ البلاء؟

الجواب: نسأل الله أن يعافينا وإياكم، أنا نبهت يا إخواني حتىٰ لا نصل إلىٰ درجة القنوط، ليست المشكلة فقط في المعصية، كلّ ابن آدم خطاء، ليس فينا أحد لا يخطئ، المشكلة في أن يكون الإنسان قد ملأ قلبه بالتعلّق بهٰذه المعاصي وأخلىٰ قلبه من تعظيم الله تعالىٰ، يعني الإشكالية في حديث ثوبان ليست في المعصية، أنا قلت لكم: إنه إذا أراد الإنسان أن يعصي بأي نوع من المعاصي أن يأتي أمام

الناس، المقصود أن لا تخلو قلوبنا من تعظيم الله تعالىٰ، وهـٰذا الذي أوجب تدمير تلك الحسنات التي أمثال جبال تهامة بيضاء.

ولهـٰذا ينبغي الفقه حتىٰ لا نصل إلىٰ القنوط وهو مذموم وداخلٌ في قول الله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾[الحجر] فينبغي التفريق بين الأمرين.

وأما مسألة المشاهدات فنقول: اتَّق الله وخذ بوصية الله لك تجد لذةً لا تجدها فيما تشاهده، الله تعالىٰ يقول: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾[النور:٣٠] ﴿ أَزْكَىٰ ﴾ أطيب وأطهر، وليس الطِّيب والطهارة هنا يعني بعدم الواقعة في المعاصي، لا، أزكىٰ لقلوبهم انشراحًا وبهجة ولذة، وطمأنينة وسكونًا وسلامة من هـٰذه الآفات.

بمعادلة مختصرة أقولها لكم يا إخواني: الذي يشاهد المعصية ما يدركه من اللذة من مشاهدة هـٰذه المناظر لو وزنَّا تلك اللذة بما يحصل له من خسار من حلاوة الإيمان ولذَّته شيء لا يوصف، ولا يمكن أن يقارن.

بعبارة أخرىٰ: لذّة حرمان النفس، مشاهدة المحرّمات ومواقعة السيئات أعظم من لذة إتيان المعاصي، وذلك أنّه من ترك لله شيئًا عوّضه الله خيرًا منه، والتعويض هنا لا يلزم أن يأتي ببديل، التعويض هنا هو حاصل تلك اللذة والسكون والراحة التي تنزل في قلبه بسبب طاعة الله تعالىٰ ومنع نفسه من المحرمات، وأقول لكم ببيان نبوي واضح فيما هو نهاية هـٰذا الطريق؛ النبي ﷺ يقول من حديث أبي هريرة كما في الصحيحين: «**حُفَّت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشَّهوات**» [1] أنت الآن، أسألكم لما ترىٰ شيئا جميلا في محيط أمامك، الآن شيء جميل وراءه نار لما تقترب من هـٰذا الجميل، ألا تشعر بوهج النار؟ يحرقك وهجها ولهيبها إذا كانت نارًا قوية، فتتقدم أنت ماشي في خضرة وفي مكان جميل منظره وتشُوقه نفسك لكن كلما خطوت خطوة فأنت تقترب من النار، كذلك في المعصية كل خطوة أنت تقترب من النار، ومعنىٰ اقترابك من النار، صح أدركت شيئا مما تريد وتشتهي نفسك ولكن ستجد من الحرارة والتَّعب أضعاف تلك اللذة التي أدركتها بالمعصية.

ولهـٰذا ما فيه إنسان يعصي الله ويخرج مسرورا، لا يمكن أن تكون المعصية وسيلة للسرور والبهجة؛ بل لابد أن يعقبها شُؤم وضيق.

---

(١) صحيح الجامع حديث رقم (٣١٤٧).

في المقابل الطاعات قد تكون ثقيلة علىٰ النفس؛ لكن كلما تشتغل بطاعة تقترب مـن فـرج، وتقـترب من أريج وراحة وطمأنينة.

ومثاله الآن الناس يأتون من شمال المملكة ومن وسطها ومن أقصاها يـأتون مـن الخلـيج لــ"أبهـا" و"الباحة" والمناطق هـٰذه، يقطعون مسافات وحر شديد إذا جاؤوا بالسّـيارات ويتعبـون؛ لكـنهم يـأتون لراحة قالوا: ما شاء الله مناظر وبَرَاد وخضرة ومطر ولكن ما وصلوا إلىٰ هـٰذا إلا بالمشقة:

لـــولا المشـــقة ســـاد النّـــاس كلهـــم   الجـــود يفقـــر والإقـــدام قتـــال

«**حُفت الجنة بالمكاره**»؛ لكن كل ما وطئت مكروهـا اقتربـت إلـىٰ فـرج، ووجـدت لـذة وسـرورًا، «**وحفت النار بالشهوات**» فكلما وطئت شهوة اقتربت من وهج وحر وشؤم..

ﮋﮋ ◊ ﮊﮊ